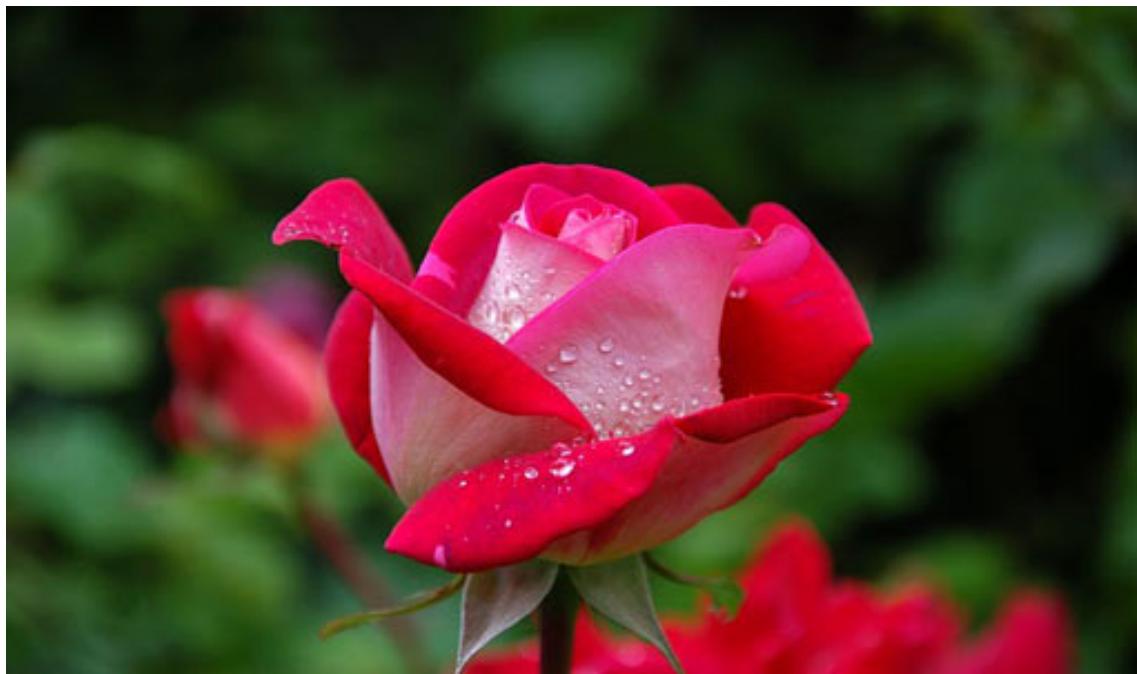


التربية الإسلامية للحواس



يولد الإنسان على فطرته، خلواً من كلّ معرفة، والجهل يحيط به من كلّ جانب، فأعطاه الله الحواس والفؤاد، منحه السمع ليسمع مواضع الله، والبصر ليبصر دلائل الله، والفؤاد ليعقل عظمة الله.

قال الله تعالى: (وَاللَّهُمَّ أَخْرِجْكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأُفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل/78).

قال العلامة الأبراشي: "إن الأطفال يولدون وهم لا يعلمون شيئاً عن الحياة وتجاربها وعلومها وآدابها وفنونها، ولكن الله شأنه قد منحهم مواهب فطرية وغرائز طبيعية للانتفاع بها في حياتهم، وتنمية معلوماتهم وأفكارهم بعد تربيتها وتهذيبها، فقد وهبهم الله عقولاً يفكرون بها، وحواس يحسون بها، ليستفيدوا منها في دراسة العالم الذي يحيط بهم".

العوامل الباطنة: وثمة في الإنسان أشياء أخرى لا تقل أهمية عن الحواس الظاهرة، والباطنة، وهي تساعد الإنسان في تكوين شخصيته، وبدونها لا يكون كامل إنسانية، تام الشخصية، وهي كثيرة نذكر منها:

1- الشعور: وهو حدس الفكر لأحواله وأفعاله، وبعبارة أخرى هو الوعي الذي يصاحب فاعليات الذات فتتميز به عنها، فإن لم يكن ثمة وعي ولا مصاحبة لفاعلية الذات فهو اللاشعور.

وهذا الشعور تهتم به التربية القرآنية ويدركه القرآن سبعاً وعشرين مرة ويهجو أحياناً الكفار والمجرمين حيث إنهم فقدوا شعورهم، وفست قلوبهم، وغلوطت إحساساتهم، فأصبحوا لا يشعرون إلا بالماديات والمرئيات، وكفروا بكل المعنويات والغيبيات، فيقول الله في قوله: (وَمَكَرُوا مَكَراً وَمَكَرْرَةً مَكَرْرَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (النمل/50).

ويقول في المفسدين في الأرض: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكُنْ لَا يَشْعُرُونَ) (البقرة/12). ويقول للصحابية الكرام (رسوان الله عليهم): (يَا أَيُّهَا النَّذِيرِ أَمَدْنُوا لَهُمْ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَرْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (الحجرات/ 2).

قال سيد قطب: "فهكذا ارتعشت قلوبهم، وارتجمت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وهكذا تأدبو في حضرة رسول الله (ع) خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون".

- الانتباه والاهتمام: الانتباه هو تركيز الشعور نحو شيء ما، بحيث ينفرد هذا الشيء بملء مجال الشعور. والاهتمام جوهر الانتباه، وهو في نفس الوقت جوهر الذاكرة.

والقرآن يربى هذا الاهتمام بالاستبصار والمراقبة، ويضرب لذلك مثلاً بحادثة اهتمام زوج العزيز بفتاها، لمّا هم الرسول سيدنا يوسف (ع) بدفع هذه الزوجة عن نفسه بأية طريقة كانت، ولو بالفرار من وجهها حتى يخلص من أذاتها، وينجو من مكرها وشرها، فيقول القرآن: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (يوسف/ 24).

والقرآن ينزل باللائمة والتوبية على أولئك الذين لا يهتمون بأمر العامة، وتهتمهم مصالحهم الخاصة فقط فيقول: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهْمَّتْهُمْ أَرْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ طَنَّ الْجَاهْلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَذَّا مِنْ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) (آل عمران/ 154).

- الهيجان: هو انفعال عنيف مفاجئ مستديم كالخوف والغضب والقلق والخجل، إذا استد اضطررت معه التصورات الذهنية، واختل التوازن العضوي مما يجعل الشخص في صورة غير متکيفة مع وضعية ما.

وتلك الانفعالات المضطربة، وهذا الهيجان العنيف الذي يصدر عنه الغضب الممقوت فيصبح المنفعلون والهاججون غضاباً، مما اهتم به القرآن؛ فربى عباده بطريقة الترغيب والترهيب، ووعدهم الجنة الفيحاء إذا هم كطموا غيطهم وقال لهم: (وَسَارَ عُوا إِلَى مَغْفِرَةِ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةِ عَرْضُهَا السَّمَاءُ وَآتُوا إِلَيْهِ أُعْدَتْ لِلَّمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) (آل عمران/ 133-134).

- العاطفة: هي حالة انفعالية معقدة ثابتة مستديمة وغير عنيفة على خلاف الهيجان. وهي أنواع متعددة: عواطف متباعدة بين الأفراد مثل الشفقة والمحبة والغيرة. وعواطف اجتماعية مثل العواطف العائلية، والعواطف الوطنية. وعواطف شخصية مثل الكرامة والعزوة والأناانية والخجل.

والعاطفة يعبر عنها القرآن بلفظ "المودة" وهي هبة الله ورحمته، جعلها بين عباده، فمن استعملها في مواضعها أثابه الله وجزاه خيراً، ومن جعلها في غير محلها أخزاها وجراه شراً وبلاً.

ومن مواضع المودة الحسنة أن تكون بين الزوجين. قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَرْفُسِكُمْ أَرْجَأً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم/ 21).

ومن مواضعها أنها تكون بين المسلمين، وبين أسرة الرسول (ص) وسلالته. قال الله تعالى: (قُلْ لَا إِسْمَاعِيلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرٌ إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى) (الشورى/ 23).

أما مواضع المودة الممقوته فهي تلك المودة التي يمنحها المسلمون أعداءهم، قال الله تعالى: (إِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحَذَّرُوا عَدُوُّكُمْ أَوْ لِيَاءَ نُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) (المتحنة/ 1).

- الهوى: فإذا كانت العاطفة تقوم بوظيفة المحافظة على التوازن في الحياة الانفعالية من أجل التكيف، فإن الهوى يتجلّى في صورة انقطاع لهذا التوازن عن طريق الإلحاح والمضايقة، فكان الهوى يستقطب مركز الحياة النفسية حول موضوع واحد، ويهمّل بقية المواضع الأخرى.

والقرآن يذكر الهوى في بعض وثلاثين آية، وينزل بالتوبية واللعنة على أولئك الذين يستكثرون عن عبادة الله، ويذبون رسليهم طوراً آخر، لا لسبب، وإنما لكونهم جاءوا برسالات من عند

رَبِّهِمْ تَخَالُفٌ أَهْوَاءِهِمْ فَيَقُولُ إِنَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَا لَمْ يَرَهُ وَإِنَّ فُسُكُمْ أَسْتَكِنْ بَرْ تُرْ كَذَّ بَتْمَ وَفَرِيقًا تَقْتَلُونَ * وَقَاتِلُوا قُلْتُوبُنَادَا غُلْفَ بَلْ لَعَنْهُمُ اللَّهُمْ فَقَاتِلْيَا مَا يُؤْمِنُونَ (البقرة/ 87-88).

ومن اتبع هواه في كلّ أوامر ونواهيه فكانما جعل من هواه معبوداً يقف عند حدوده لا يتعداها، وهو ضرب من الإشراك والكفر. قال الله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَاهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَيِّ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازيات/ 40-41).

-6 الميل: هو نزوع عفوياً أو واع يتجه به الكائن الحي للقيام بفعل من الأفعال، وهو أعم المفاهيم النفسية وأبسطها، فإن كان هذا النزوع متوجهاً لإرضاء الجسم سمي الميل (حاجة). وإذا وقع بصورة عفووية سمي الميل "غريزة". أما إذا كان النزوع واعياً سمي "رغبة".

وهذا الميل نفسه يذكره القرآن ويؤدب صاحبه، ويحذر أن يميل مع الشهوانيين فيخسر الدارين، ولذا يقول جل شأنه: (وَيُرِيدُ الْذَّيْنَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَهْمِلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) (النساء/ 27).

كما يربيه الله أيضاً حتى لا يحيف في حق الزوجات، ويميل لإحداهم ميلاً عظيماً، ويظهر حبه لها علانية أمام الزوجات الآخريات. قال الله تعالى: (وَلَئِنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْيِلُوا كُلُّ الْمُمْيَلِ فَتَذَرُّوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) (النساء/ 129)، والعدل مطلوب بين الأولاد كذلك. وفي الحديث قال النبي ص: "اعدلوا بين أبناءكم، اعدلوا بين أبناءكم، اعدلوا بين أبناءكم".

-7 الإرادة: وهي القصد إلى الفعل أو الترك مع وعي الأسباب الدافعة إليهما، فيخرج من هذا التعريف الأفعال التي ليس فيها قصد، مثل العادات وسائر الأفعال اللاشعورية.

والإرادة يذكرها القرآن بصيغتي الاسم وال فعل 161 مرة. وتوجد آيات فيها إرادة الله، وآيات أخرى فيها إرادة الإنسان.

ومن الأولى قوله سبحانه: (قُلْ فَمَنْ يَهْتَلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْتَلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (المائدة/ 17).

ومن الإرادة الثانية: إرادة الإنسان قوله سبحانه: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا مَشْكُورًا) (الإسراء/ 19).

وقد وقعت التربية هنا بالمدح، مدح صاحب الإرادة الحسنة.

ومن إرادة الإنسان أيضاً قوله سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْجَنَّةَ الدُّرْزِيَا وَرَبِّيَنَاهَا زُوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ لِيُدْخَلُونَ * أُولَئِكَ الْذَّيْنَ لَيُسَلِّهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (هود/ 15-16).

-8 الطبع: هو مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تكتّون الهيكل الذهني لدى إنسان ما، واعتماداً على هذا التعريف الذي قام به لوسين، فإنّ الطبع لا يمثل كيان الفرد بأكمله، بل هو محصلة الوراثات التي تلاقت فيه والتي تولد معه، وليس من الطبع ما اكتسبه الإنسان عن طريق تأثير الغير فيه.

والقرآن يعلن بأن لكل فرد فطرته التي يولد عليها، والفطرة الطبيعة الأصلية للطفل، أي القابليات والميول الفطرية لكل فرد، وهذا ما يقوم به علم النفس الحديث، والطبيعة الأصلية هي التي يشير إليها القرآن بقوله: (فِطْرَةَ اللَّهِ الْحَمَدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَطَرَ اللَّهُ الْجَنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبَدِّلُ لِخَلْقِ اللَّهِ) (الروم/ 30). ولكن هذا الطفل يولد بإمكانات ومؤهلات تتأثر بما يحيط بها من مؤشرات البيئة. ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم على التربية والتعليم، ومن ذلك قوله تعالى: (وَاللَّهُمْ أَخْرِجْكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ

السُّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل/78).

وقوله حلٌّ شأنه: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا) (الإنسان/3). أي بينما للإنسان وعرفناه طريق الهدى والصلال، والخير والشر ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، وهذا بعد ما أعطاه الله الحواس الظاهرة والباطنة ومنحه العقل.

- 9 المسؤلية: وهي لحاق الاقتضاء بصاحبها من حيث فاعله، وبذلك يكون الفاعل مسؤولاً، أي مطلوباً من التبيعة التي تلزم عن فعله، فإن كان موضوع الاقتضاء موافقاً للقانون جلب للفاعل الاستحسان والمكافأة، وإن كان مخالفًا له جر عليه اللوم والعقاب، وقد يكون هذا القانون دينياً خلقياً، أو اجتماعياً عرفياً.

وقد تكون المسؤلية شخصية أو عائلية، أو مسؤلية شعب بأكمله، أو أُممٌ بأجمعها. والإنسان مسؤول عن مسؤوليته الشخصية أو لا، ثم على المسؤوليات الأخرى إن كانت. والقرآن يهتم بكل هذه المسؤوليات ويحدد معاليمها، ويدرك كلا على حدة، وهو إذ يعرض ذلك فهو مرب لأصحاب المسؤوليات بالأساليب التربوية الشهيرة.

ومسؤولية الفرد عن نفسه توضحها آية: (مَنْ اهْتَدَ فَإِنَّ رَبَّهُمْ يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّ رَبَّهُمَا يَضْلِلُهُمَا وَلَا تَزَرُّ وَازْرَةٌ وَزُرْ أُخْرَى) (الإسراء/15).

وتوضحها آية: (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (سبأ/25).

ومسؤولية العائلة تشير إليها آية: (يَا أَيُّهَا النَّذِيرَةِ أَمَدُوا قُوَّا أَرْفُوسَكُمْ وَأَهْلِيَّكُمْ زَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم/6).

- 10 الشخصية: وهو مظهر يتجلّى في الميول والشعور به أو اللاشعور به، وفي الأفكار والعواطف، وفي الأفعال التي يتميز بها الأنّا الشخصي عن الآخرين والباحثون أطلقوا كلمة "شخصية" على الطبع والخلق والميول والاهتمام والعاطفة.

وشخصية الإنسان معترف بها كفرد. قال الله تعالى: (وَكُلْ إِنْسَانٌ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُذْقِهِ وَزُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَذْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ إِلَيْكَ حَسِيبًا) (الإسراء/14-13).

وشخصية الإنسان معترف بها كجماعة قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ) (الحجرات/10).

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعَاوَرَ فُوْيَ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات/13).

وقال: (وَاعْتَصِمُوا بِرَبِّكُمْ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّ قُوَا) (آل عمران/103).

وقال: (وَتَعَاوَنُوا عَلَيَ الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَيَ الْإِثْمِ وَالْعُدُودِ وَالْأَنْ) (المائدة/2).

- 11 الضمير الخلقي: وهو عبارة عن حوار يجريه الإنسان مع نفسه للتوجيه العمل الذي ي يريد القيام به بعد إسناده إلى قيمة ما تفرض نفسها عليه، يتبعها شعور بالرضا أو بالندم. والقيمأنواع: قيم خلقية، قيم جمالية، قيم منطقية.

والضمير الخلقي ليس هو الشعور الإنساني لأنَّ الأوَّل يحكم بينما الثاني يشاهد، والضمير يوجد في

كلّ إنسان ينمو بنموه ككل القدرات والقوى، بقوى بتربيته.

والقرآن يهتم بالضمير الخلقي ويربيه بالأمر فيقول له: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَا وَكَانَ ذَا قُرْبَانٍ) (الأنعام / 152).

ويربيه بالاستعاذه والتذكرة والمرافقه فيقول له: (وَإِمَّا يَنْهَا إِنَّ اللَّهَ يُطَهِّرُ مَنْ نَزَعَ فَإِنَّمَا تَعِذُّ بِاللَّهِ مَنْ هُمْ طَائِفُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ) (الأعراف / 200-201). ويقول سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَزَانًا وَنَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُونَ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق / 16).

-12 الفضيلة: وهي تحقيق المثل الأخلاقية، غير أنّ المثل الأخلاقية ليست محل اتفاق بين الفلاسفة، فسocrates يرى أنّ الفضيلة ثمرة العلم. وأرسطو يراها الوسط العدل في الأمور، ويجب أن يكون عادة مستمرة، وعلى درب أرسطو ذهب ابن مسكويه والغزالى.

والقرآن الكريم يذكر الفضيلة بمصدرها الذي هو الفضل، ويكرر ذكرها ستاً وثمانين مرة، ويجعل الفضل أصله بيد الله وحده فيقول: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَ لِمَنْ يَشَاء) (آل عمران / 73).

وإذا ما منح الله فضله من عباده فعليهم أن يستعملوه في مواضعه ولا يخلوا به، ولذا قال: (وَلَا يَأْتِيَنَّ أُولُو الْفَضْلِ مِنْ كُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَئِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الذور / 22). وهو في مثل هذه الآية إنما يربى عباده بالنهاي عن ترك الفضيلة، ثم يحذرهم في آية أخرى، ويذكر لهم العاقبة السيئة لمن يدخل بالفضل فيقول: (وَلَا يَجِدْ سَبَّانَ الْمَذَنِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌ لَهُمْ سَبِطَوْهُ فُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران / 180).

والخلاصة أنّ الفضيلة ضد النقيصة، والإفضال والإحسان، ورجل مفضال وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحـةـ. فالبخيل والجائر غير فاضل ولا سمحــ، وبالتالي فهو مكروه ومنبوذــ. ▶

المصدر: كتاب التربية الجنسية في الإسلام